

تاريخ القبول: 2025/04/26

تاريخ الإرسال: 2025/02/01

تاريخ النشر: 2025/04/30

التعدد الدلالي في قصيدة (قالت الحمامة للعنكبوت) لتميم البرغوثي
Semantic plurality in the poem “The Dove Said to the Spider” by Tamim Al-Barghouti

¹رشيدة عيسى ، ²د. رضوان جنيدي

جامعة تامنغست (الجزائر)، docaissarachida@yahoo.com

الإيميل المهني: r.aissa@cu-tamanrasset.dz

جامعة تامنغست (الجزائر)، ²salimdjenidi@yahoo.fr**الملخص:**

يستند التحليل الأسلوبي للنصوص الشعرية في مقارنته للمستويات الأسلوبية إلى النص-أو مجموعة النصوص- ذاته محور الدراسة ومنطلقها ومنتهىها، ويتزود بمعارف ترتبط ارتباطا وثيقا بالمباحث اللغوية، في عملية استجلاء القيم الجماليات معتمدة الانزياحات المفجرة للدلالات والمكثفة للإيحاءات، والتي تصبغ النص الفني الإبداعي بصبغة الفردية والتميز والخصوصية، ليصبح ملمحا أسلوبيا يعول عليه في دراسة مستويات التحليل الأسلوبي.

شكل التعدد الدلالي ملمحا بارزا في الشعر العربي المعاصر، يمكن عده سمة تجديد، أغنت القصيدة المعاصرة وأمدتها بفيض من القراءات المجسدة لانفتاح القصيدة على عوالم مختلفة.

بالاعتماد على الوصف والتحليل واستخلاص النتائج سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف استطاع نص (تقول الحمامة للعنكبوت) للشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي الاستفادة من مظهر التعدد الدلالي لتحقيق التميز والفرادة الأسلوبية؟

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، القصيدة المعاصرة، التعدد الدلالي، تميم البرغوثي

Abstract:

The stylistic analysis of poetic texts is based, in its approach to stylistic levels, on the text - or group of texts - itself, the focus of the study, its starting point and its end. It is equipped with knowledge closely linked to linguistic investigations, in the process of clarifying aesthetic values based on the explosive shifts of meanings and the intense connotations, which imbue the creative artistic text with a hue of uniqueness, distinction and particularity, so that it becomes a stylistic feature that can be relied upon in studying the levels of stylistic analysis.

Semantic plurality has been a prominent feature of contemporary Arabic poetry. It can be considered a renewal that has enriched contemporary poetry and provided it with a wealth of readings that embody the poem's openness to different worlds.

Relying on description, analysis, and conclusions, we will attempt to answer the following question: How was the Palestinian poet Tamim al-Barghouti able to leverage the semantic plurality in his poem "The Dove Told the Spider" to achieve stylistic distinction and uniqueness?

Keywords: Stylistics, Contemporary Poetry, Semantic Pluralism, Tamim Al-Barghouti.

1-مقدمة:

أسست القصيدة الشعرية المعاصرة لمجموعة من السمات الدالة على تميز العمل الأدبي وفرادته، وهو ما يدفع المنشغلين في مجال الدراسات النقدية إلى محاولات القبض على جماليات النص ومطاردته وتقصي مكامن الإبداع الفني فيه، وتبرز المقاربة الأسلوبية أقدر المقاربات القرائية النقدية النصية قدرة على استجلاء أسرار جماليات النص الشعري، إذ يتحرك التحليل الأسلوبية نصيا من خلال المستويات الأسلوبية يستنتق الخصائص الصوتية والإيقاعية والتركيبية والنحوية والصرفية والدالية.

يستند التحليل الأسلوبى للنصوص الشعرية في مقارنته للمستويات الأسلوبية إلى النص-أو مجموعة النصوص- ذاته محور الدراسة ومنطلقها ومنتهىها، ويتزود بمعارف ترتبط ارتباطا وثيقا بالمباحث اللغوية، في عملية استجلاء القيم الجماليات معتمدة الانزياحات المفجرة للدلالات والمكتفة للإيحاءات، والتي تصبغ النص الفني الإبداعي بصبغة الفريدة والتميز والخصوصية، ليصبح ملمحا أسلوبيا يعول عليه في دراسة مستويات التحليل الأسلوبى.

يتجاوز النص الشعري المعاصر واحدية القراءة إلى تعدد القراءات من خلال انفتاح الدلالة على دلالات متعددة، يجسدها مصطلح التعدد الدلالي المفضي إلى تكثيف الدلالة، وهو ينتقل بالمعنى إلى معنى المعنى، أو بتجاوز القراءة السطحية والمعنى الظاهر إلى الدلالات العميقة في ارتباطاتها بالنصوص الغائبة من جهة انطلاقا من العنوان، والانزياحات المثيرة للمتلقي بالاعتماد على الانزياح الإيقاعي من خلال الإيقاع المنتظم من جهة أخرى.

2- التعدد الدلالي والنص الغائب (العنوان):

ينفتح سطح النص الشعري على عوالم مختلفة من النصوص الغائبة، تؤكد حضورها في بنيات تشكله وهو يستقي من منابع كثيرة تحضر بشكل يجسد وعي المبدع بعملية الاستحضار أو تنقلت من وراء وعيه وقد خزنتها ذاكرته، وترفض بذلك مقولة ولادته من العدم؛ ويستحضر المتلقي النص الغائب عبر عملية الربط بين النص الحاضر والنصوص الغائبة المرجعية، وهو ما يؤكده محمد عزام بقوله: " ففي النص تنافس، والكاتب يمارسه واعيا أو غير واع، كما أن القراءة تثير لدى المتلقي خبراته وذكرياته ومعلوماته السابقة. وهكذا يبدو (التنافس) حوارا بين النص وكاتبه، وما يحمله الكاتب من خبرات سابقة، كما أنه حوار بين النص ومتلقيه، وما يملكه المتلقي من معلومات سابقة"¹، ويتحقق بذلك التعدد الدلالي من خلال تلك المحاور وتتكشف المعاني وتنفث على تأويلات كثيرة.

يتحول النص الشعري الإبداعي المعاصر إلى ما يشبه الفسيفساء التي تستجمع مجموعة من الأشكال أو الأجزاء التي تشد بخيط دلالي يسم النص بصفات الفردة والتميز، وهو ما يدفع القارئ إلى محاولة إلى إيجاد القاسم المشترك الذي يشد النص الحاضر بالنصوص الغائبة المستترة داخل بنيته الدلالية والمشدودة بخيط دلالي، يحول النص محل الدراسة إلى فضاء من النصوص المرجعية، ذلك أن "كتابة النص هي قراءة نوعية لهذه النصوص بوعي خاص يتحكم في نسق النص، وهنا تظهر تفرعات التحليل الذي يريد أن يصل إلى درجة عاليا من إمكان السيطرة على هذه النصوص وضبطها، ثم تعيين القراءة التي تخللت إعادة كتابتها"²؛ وهو ما يؤكد وجود نصوص غائبة مستترة تمارس سلطة حضورها على النص، يستجليها المتلقي

الخبير المطلع ويحقق وجودها، ليقر خصيصة التعدد الدلالي وانفتاح القراءات والمعاني.

يحمل عنوان قصيدة (تقول الحمامة للعنكبوت) ثنائية القول أو مقول القول المحققة من فعل القول (تقول) في إسناده إلى الفعل المضارع الدال على الحضور والمعاشية، والمتحقق فعليا من (الحمامة ؛ العنكبوت) في محاوره ثنائية تشد القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، إلا أن مضمون القول أو المحاوره تقتصر على حديث الحمامة دون العنكبوت -وهي حارسة الغار الذي أوى إليه الضيفان أو الشيطان - التي اكتفت بالإصغاء ورفض الكلام إلى أن فاضت روحها:

تقول الحمامة لما رأت روح حارسة الغار فاضت

وقد أصبح الغار من بعدها طللا

يا أخية ضيفاك ما فعلا

ثم قالت تعزي قليلا

وخلي من الدمع ما هملا

ثم ميلي إلى كل طفل وليد

وقصي عليه الحكاية

قولي له:

في زمان مضى

حل في الغار

عربيان

وارتحلا

ويشاكل ذلك استمرار سؤال الحمامة عن مصير الشيطان وما حل بهما، ليمتتع النص عن الإجابة عن سؤالها، أو تمتنع العنكبوت بصمتها عن الإجابة، ويظل السؤال مطروحا متجددا حاضرا حضور فعل القول بزمناه الحاضر /المضارع، يرسخ الثنائيات النصية في تأرجحها بين التشاكل والتماثل والتآلف وما يتفرع عنها وهو طرف الثنائية الأول وبين التباين والتعارض والتصادم وما يتفرع عنها من جهة أخرى، بين حمامة ترحل وتطير وتقول وعنكبوت تثبت وتستقر وتصمت ؛ وبين شيخان يدافعان عن عقيدتهما ورسالتهما ومشركين يرفضان تلك العقيدة ويمنعون تحققها وانتشارها، وبين عربي يفدي مقدساته بروحه وعربي يخون ويغدر ويبيع شرفه ويقاثل أخاه العربي دفاعا عن المغتصب.

قد لا يخفى إحالة الشاعر في عنوان القصيدة إلى حادثة هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم- وصاحبه الصديق أبي بكر -رضي الله عنه- وتواجههما في غار ثور، والتي يجلبها النص ويؤكددها وفي الوقت نفسه ينفيها ويعارضها، ويظهر بذلك انفتاح الدلالات وتكثيفها باستحضار النصوص الغائبة أو نص الهجرة سابق الذكر، ليتأرجح المتلقي بين تأكيد ارتباط العنوان بحادثة هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه الصديق أبي بكر -رضي الله عنه- وتواجههما في غار ثور، أو نفيها.

فبقدر ما يتحقق التناص الامتصاصي بانفتاح النص على الحادثة التاريخية المتحققة قولاً وفعلًا، ويمتزج بذلك النص الحاضر بالنص الغائب بحمولاته المعرفية والتاريخية، ليربط المتلقي نص القصيدة الحاضر بالنص المرجع (حادثة الهجرة) وينفتح النص على قراءات ودلالات مختلفة كثيرة، تنقصى التماثل والتشاكل وتصطدم بالتعارض والنفي أو التناص الحوارية الذي ينفي المعهود ويعارضه ويقبله؛ وقد عدّه

محمد بنيس من أعلى درجات التناص إبداعا وتميزا، "إذ يعتمد النقد المؤسس على أرضية علمية صلبة، تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان نوعه وشكله وحجمه، لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص، وإنما يغيره"³، ويحمل بذلك استحضار النص الغائب غيابه الدلالي أو مغاييرته دلالة، فيتحقق التعدد الدلالي والتكثيف في المعاني.

وقد تحيلنا هذه المعارضة من خلال الخروج عن المؤلف ومخالفة المعهود والمتواضع عليه في استحضارها النص الغائب (حادثة الهجرة) ومحاورته ومغاييرته بانزياحا عن تحققها التاريخي إلى قراءات تؤكد التعدد الدلالي وتكثيف المعاني نافية واحدة القراءة وانغلاق النص.

3- التعدد الدلالي والانزياح⁴ الإيقاعي (الإيقاع المنتظم):

قصيدة (نقول الحمامة للعنكوت) هي إحدى قصائد ديوان (في القدس) الأربع والعشرين (24)، وهذه القصائد مجتمعة مثلت خصيصة التعارض الشكلي باعتماد بنيتين إيقاعيتين -على الأقل- من حيث الشكل البنائي للقصيد، يمتزج فيها نظام البيت بنظام التفعيلة أو بنظام النثر⁵، وقد اعتمده بعض الشعراء المعاصرين أبرزهم بدر شاكر السياب خاصة في ديوانه (أنشودة المطر).

قصيدة (نقول الحمامة للعنكوت) من قصائد الديوان التي استهلّت بأبيات من نظام البيت الخليلي، ثم تعقّبها أسطر شعرية من نظام السطر الشعري، وتليها أبيات من نظام البيت الخليلي، لتختتم بأسطر شعرية تجسد نظام التفعيلة، يقول الشاعر في بداية قصيدته وهي تجسد الشكل الأول (نظام البيت)⁶:

تَقُولُ الْحَمَامَةُ لِلْعَنْكَبُوتِ أَخِي تَذَكَّرْتَنِي أَمْ نَسِيتِ

عَشِيَّةً ذَاقْتَ عَلَيَّ السَّمَاءَ ففقلتِ على الرّيحِ في الغارِ بَيْتِي

إلى أن يصل إلى الشكل الآخر (نظام التفعيلة في قوله⁷:

أُخِيَّةٌ ماذا جرى لهما

أُتْرَى سَلِمًا

يا أُخِيَّةُ هل تعلمين

لقد كان في الغار وعدٌ بأنَّ السَّمَاءَ سَتَنثُرُ

مثل أُرْزَّ العُروسِ على العالمين

وتستمر القصيدة على هذا البناء الشكلي الإيقاعي المجسد للتعارض الشكلي، وهو تعارض لا ينفي التماثل الوزني، إذ بنيت القصيدة على إيقاع وزن المتقارب في النظامين (نظام البيت الخليلي ونظام التفعيلة)؛ وينفتح النص الشعري إيقاعيا على خصيصة التعدد الدلالي عبر بنية الإيقاع، فما جسد التشاكل وزنا انفتح على التشظي شكلا.

تتأرجح القصيدة وهي بنية واحدة بين بنيتين إيقاعيتين شكلا تنفتح على نظامين عروضيين (نظام البيت الخليلي ؛ نظام التفعيلة / الحر) يراحم أحدهما الآخر، فيحمل الأول منهما دلالات المحافظة والأصالة والارتباط بالبعد العربي الراض للانصهار والتماهي، ويجسد النظام الآخر التحرر ورفض القديم والنهل من الآخر.

بالانتقال إلى النص، نجد ثنائيات أربع تشد بنية النص هي: ثنائية (الحمامة ؛ العنكبوت) وثنائية (الرجل، صاحبه) وثنائية (الإيمان، الشرك) وثنائية (الوفاء ؛ الخيانة)؛ وقد تفرع عنها ثنائيات عديدة تدور في فلكها وتحقق حضورها، وقد لا يخفى تحقيق الثنائيات لمبدأ التشاكل والتآلف في (الحمامة ، العنكبوت) وثنائية (الرجل ، صاحبه)، ثم مبدأ التباين والتعارض في ثنائيتي: (الإيمان ، الشرك) و(الوفاء ، الإخلاص).

فإيقاع بحر المتقارب المنتظم بتفعيلة (فعولن) -مع ما يطرأ عليها من زحافات وعلل- ينشطر إلى نظامين، أولهما يحقق التكرار المنتظم للتفعيلة والآخر يتحقق بتكرار التفعيلة بنسب متفاوتة، والغار الذي لجأ إليه الشخان (وقد يحيل إلى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم- وصاحبه الصديق أبي بكر رضي الله عنه- وتواجههما في غار ثور) ليحميا العقيدة ويبلغا الرسالة، التي تجاوزت المدينة إلى مشارق الأرض ومغاربها قبل خيانة الأبناء (الخلف) لأمانة الأجداد (السلف) وانتقالهم من العزة والمجد والجهاد إلى الخنوع والخضوع والخيانة للآخر المغتصب للأرض والعرض العربيين.

والتماثل الإيقاعي قافية في نظام البيت يحمل تشاكلا دلاليا فقفافية (سيئت) على سبيل المثال في كلمة (نسيت) في البيت الأول تشاكل قافية (بيئت) في البيت الموالي من حيث الفعلية والاسمية، والحال نفسه مع قوافي نظام التفعيلة، إذ تحقق التشاكل ثم ينفيه التباين والتشظي الإيقاعي؛ " وتغدو القافية وسيلة إيقاعية ذات تأثير انفعالي وجمالي في المتلقي، وذات بعد دلالي عميق في صناعة المعنى المبعثوث في النسيج الشعري"⁸، وتتحقق الثنائيات المتمثلة تراحمها الثنائيات المتباعدة تحقيقا للتعارض والتصادف والنفي والإثبات وهو صراع يتحقق بين الإيمان والكفر والخير والشر والفلسطيني والصهيوني وغيرها من الثنائيات التي يفتح عليها النص الشعري.

4- خاتمة:

قصيدة (تقول الحمامة للعنكوت) هي إحدى قصائد ديوان (في القدس) الأربع والعشرين (24)، وهذه القصائد مجتمعة مثلت خصيصة التعارض الشكلي باعتماد بنيتين إيقاعيتين -على الأقل- من حيث الشكل البنائي للقصيد، يمتزج فيها نظام البيت بنظام التفعيلة.

جسد التعدد الدلالي والنص الغائب في العنوان اعتماد الإشارة الموجزة الموحية لاستحضار الحادثة التاريخية هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم- وصاحبه الصديق أبي بكر رضي الله عنه- وتواجههما في غار ثور، بغية ربط النص الحاضر بالنص الغائب، ربطا يرسخ المغايرة والتعارض والحوار بانزياحها عن تحققها التاريخي إلى قراءات تؤكد التعدد الدلالي وتكثيف المعاني نافية واحدة القراءة وانغلاق النص.

جسد التواشج الشكلي التعدد الإيقاعي في الإيقاع المنتظم وزنا وتقنية، ليبرز تكثيف الرؤية والانزياح بها عن الرتيب، ودفع المتلقي إلى المشاركة في تقصي جماليات البنية الإيقاعية وربطها بالتعدد الدلالي وتكثيف المعاني وانفتاح القراءات وتعددها؛ وأكد قدرة الشاعر على استغلال كثيرا من وظائف القافية من خلال تأرجح بنيتها الإيقاعية الدلالية بين التماثل والتشاكل صوتا وإيقاعا ودلالة من جهة، والتشظي والتعارض والتباين إيقاعا ودلالة من جهة أخرى.

الإحالات والهوامش

¹ محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص38.

² محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب : مقارنة بنيوية تكوينية، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1985، ص252.

³ - محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص253.

⁴ - لا يخفى استخدام الدراسات العربية لمجموعة من المصطلحات أبرزها: الانحراف، الانزياح، الخرق بالدلالة نفسها، وانطلق من عد "شعرية الكتاب[العمل الأدبي] تأتي من الشيء غير المتوقع[...]" وهذا ما يسمى في الدراسات النقدية بالانزياح أو الانحراف الأسلوبية. " بشير تاويريريت : محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر (دراسات في

الأصول والملاح والإشكاليات النظرية والتطبيقية)، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2006، ص156.

⁵- محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1، 1999، ص29.

⁶- تميم البرغوثي: ديوان في القدس، ص53.

⁷- نفسه، ص53-54.

⁸- عمر بن يحيى: البنية الإيقاعية في قصيدة لامرئين (البحيرة)، ص301.